الباب الخامس

توابع الأسرة

مقدمـــــة

بالنظر إلى أن الخدم يعيشون مع الأسرة كبعض أفرادها، وبخاصة من يخدمون فى المنازل أحببت أن أتحدث عنهم، ولو قليلاً، لبيان أهميتهم، ومنزلتهم فى المجتمع، وما كفل لهم الدين من حقوق، وفرض عليهم من واجبات، وما يتعلق بهم من أحكام.

وقبل بيان نظرة الإسلام إليهم، أقدم هذه البيانات:

معنى الخدمة:

الخدمة مصدر خدم، ومعناها القيام بعمل للغير، وقد تطلق على العمل نفسه الذى يؤديه الخادم، من باب إطلاق المصدر على المعنى الحاصل بالمصدر، وهذا المعنى يطلق على كل عمل من الأعمال التى تؤدى للغير، سواء أكانت بمقابل أم بغير مقابل، باتفاق أم بغير اتفاق، والخدمة بهذا المفهوم نوع من العمل بمفهومه الحديث، غير أن الباحثين فرقوا بين الخادم والعامل، بما يأتى:

(أ) الخادم، وهو لفظ يطلق على الذكر والأنثى، ولا يقال: خادمة للأنثى، بمفهومه الشائع، يغلب أن يكون عمله فى البيوت وما فى حكمها، حتى إذا أطلق الآن لفظ الخادم انصرف إلى ذلك المفهوم.

(ب) الخادم يزاول الأعمال التى تتعلق مباشرة أو بغير مباشرة بشخص من يعمل عنده، أو فى الأمور الشخصية الخاصة به.

(جـ) يغلب إطلاق اسم المخدوم على من يعمل عنده الخادم، أما العامل فيقال لمن يعمل له: صاحب العمل أو المؤجر أو رب المال أو نحو ذلك.

(د) الخادم يزاول كل عمل، بصرف النظر عن نوعه ومواصفاته، مادام متعلقًا براحة مخدومه.

(هـ) الخادم وضعه الاجتماعى أو شعوره النفسى يوحى بالضعف والمهانة، وبأن مخدومه أقوى وأشرف منه، أما العامل فقد يكون وضعه وشعوره أقوى وأشرف ممن يعمل له، فقد عمل محمد لخديجة، وعمل على بن أبى طالب فى بَلِّ الحصى لامرأة، ونزع بالدلو من البئر، بحساب تمرة لكل دلو[1]، وأصحاب المهارات يعملون لمن هم أقل وأدنى منهم، دون شعور بألم نفسى أو امتعاض أو تمنع.

(و) الخادم يزاول عمله بصفة مستمرة أو لمدة طويلة تقريبًا، لا يؤديه مرة واحدة، وليس له زمن محدود لعمله.

٢ - مهمة الخدم:

مهمة الخدم فى أصلها هى مساعدة الغير ومعاونته على تصريف شئونه وقضاء مصالحه فى أى مجال من المجالات، من زراعة وتجارة وحراسة... وتتحدد مهمتهم تبعًا لتنوع البيئات واختلاف العصور.

وهذا النظام، وهو الخدمة، معروف من قديم الزمان، فكان الفراعنة يتخذون الخدم فى البيوت، ويشكلون مظهرًا من مظاهر الترف، وقد عاش يوسف عليه السلام فى بيت عزيز مصر خادمًا، كما يشير قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ [يوسف: ٢١]، والنفع عام فى كل نشاط يقدم لمصلحة الغير.

وفى الهند كان النظام الاجتماعى قديمًا يجعل طائفة من المخلوقات للخدمة ولتناول الأعمال الحقيرة، التى لا يليق بالطبقات العليا أن يمارسوها، وسموا « منبوذين » فقد قسمت شريعة « مانو » الهندوسيين، بل الجنس البشرى كله فى نظرهم إلى أربعة أقسام:

(أ) البراهمة، وهم المخلوقون من فم الإله، وهؤلاء لهم المنزلة العليا فى التكريم.

---

(١) نيل الأوطار (٥ / ٣١٠).

(ب) الشاترى، وهم المخلوقون من أذرع الإله، وقد جعلوا للحرب، وبيدهم مقاليد الحكم.

(جـ) الفايشار، وهم المخلوقون من فخذى الإله، وهم أرباب المال والزراعة.

(د) السُّودْرا، وهم المخلوقون من أقدام الإله، وجعلوا لخدمة الطبقات السابقة، وهؤلاء يلازمهم الفقر والمهانة.

كما كان الهنود يقسمون الخدم إلى قسمين، قسم للأعمال الطاهرة، وقسم للأعمال النجسة، وهم الرقيق، وكان استخدام الناس بعضهم بعضًا معروفًا فى الصين من قديم الزمان، وكان الخادم إذا أذنب عاقبوه بتكليفه بخدمة غيره.

وفى اليونان القديمة كان الخدم يتخذون لزراعة الأرض، وكانوا وهم الأرقاء، يتبعون الأرض فى الملكية، ينتقلون من مالك إلى آخر، كما كان منهم خدم فى البيوت.

وكذلك الرومان كان عندهم خدم من الأرقاء، يستعملون للزراعة والحراسة وكل التكاليف، وكانوا يُجْرُون عملية الخصاء للعبيد بقسوة ووحشية، من أجل اتخاذهم خدمًا لنسائهم.

واتخذ العرب الخدم للرعى وحفظ الماشية، وللقيام بشئون البيت، وممارسة أعمال التجارة، كما كانوا يتخذون أحيانًا للحرب، بل كان بعض الخدم يتخذ للبغاء، وهم الفتيات اللاتى يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [النور: ٣٣].

وغرضنا من الحديث عن الخدم هو الجانب المتعلق بخدمة البيوت، لصلته الوثيقة بالحديث عن الأسرة، ذلك أن الخدم لطول ملازمتهم للأسرة، كأنهم من أعضائها، وكان لابد من تنظيم علاقتهم بها، ببيان الواجبات عليهم والحقوق المكفولة لهم.

٣ - الحامل على الخدمة:

الذى يحمل الإنسان على خدمة غيره، وبخاصة تلك الخدمة التى تمارس

فى المنازل والمصالح الشخصية، على الرغم من نظرة الناس إليها، هو الحاجة إلى القوت ومواجهة مطالب الحياة الضاغطة، وبخاصة إذا انقطع مورد العيش بموت العائل مثلاً.

وهناك بلاد تأنف من ممارسة الخدمة، كما توجد بلاد تتهافت عليها، وأخرى تخصصت فيها فنيًّا، كبعض دول أوروبا، وبخاصة فى التمريض وتربية الطفال.

٤ - الحامل على الاستخدام:

الذى يحمل الناس على استخدام غيرهم إما عجزهم عن القيام بهذا العمل الذى ألجأهم إلى استخدام الغير لإنجازه، وإما الحاجة إلى المعونة والمشاركة فى إتمام العمل أو سرعة إنجازه، وإما الترف الذى يكون وجود الخدم معه، إلى جانب ممارسة الخدمة، مظهراً للزينة والمباهاة.

والنوع الأول من الاستخدام معقول ألجأت إليه ضرورة أو حاجة، أما الثانى فلا يقدم عليه إلا المترفون والمفتونون بالمظاهر، فقد يكون العمل غير محتاج لخادم، وقد يكفيه خادم واحد فيستخدم كثيرون فيه، وفى بعض الأحيان قد يكون وجود الخدم عند هؤلاء غير مكلِّف لهم عبئًا ثقيلاً، ليسر حالهم، وأحيانًا أخرى قد يكون الخدم فيه عبئًا ثقيلاً، إذا دفع إلى اتخاذهم مجاراة الآخرين القادرين، أو الاستجابة لضغط عزيز عليه، وفى الغالب يكون العزيز هو الزوجة التى تغرم بالمظاهر، وتأنف أن تخدم بيتها أو تشارك فيه بنوع من المشاركة، أو ترغب عنها إيثاراً للراحة، ولعل اتخاذ الخصيان لخدمة الحريم يعطينا دليلاً على هذا الاتجاه.

* * *

الفصل الأول

نظرة الإسلام إلى الخدمة والاستخدام

١ - الخدمة:

خدمة الإنسان لغيره أمر مشروع، والسعي إليها والبحث عنها كذلك أمر يقره الشرع، إذ أنها لا تعدو أن تكون عملاً يؤدَّى للغير نظير مقابل، والنصوص الواردة في العمل بوجه عام يصح حملها على الخدمة كجزئي من جزئياته، وهي تدخل فيه دخولاً أوليًّا كما يقول الفقهاء.

لقد أدى النبي ﷺ خدمات لخديجة قبل البعثة، كما رعى الغنم للناس في مقابل أجر، إذ صح في الحديث: «ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» رواه البخاري عن أبي هريرة.

ولم يجد النبي في ممارسة هذا العمل عيبًا، ولا في الإخبار عنه كذلك، فالعيش الذي يأتي عن طريق الجد والعرق والكفاح أشرف مما يأتي بطريق غير مشروع، أو بدون عمل كالسؤال والاستجداء.

ومما يدل على مشروعية الخدمة أن النبي ﷺ وافق عليها، واتخذ هو خدمًا، ولو كانت ممنوعة ما أقرها وما اتخذها، وناهيك بأم أنس التي عرضت على النبي ﷺ ابنها ليتشرف بخدمته.

ومن المؤسف أن تأنف من الخدمة بعض الأسر أو بعض البلاد، في الوقت الذي تحتاج فيه إلى مورد رزق، ويعز عليها أن تجده، وقد يلجأ البعض إلى احتراف النشل أو تجارة المحرمات، أو التكسب بالعرض والشرف، ويأبى أن يكون خادمًا مستقرًا بأجر مناسب كريم.

أما إذا كان هناك مورد رزق آخر فلا بأس برفض الخدمة، لأنها في أية صورة

نوع من الرق، أو مشابه له، تأباه أكثر النفوس، ولا تقبله إلا مرغمة تحت وطأة الحاجة، لكنها أهون وأشرف من عمل غير مشروع.

إن الخدمة لا ينبغى أن ينظر إليها دائمًا وفى كل الأحوال، نظرة احتقار، كما كان فى الأزمان الأولى، فالخادم حر، ومن ولد حرًّا لا ينبغى أن يحتقر أو يستعبد، وهو إنسان وليس حيوانًا، حتى يعامل بقسوة ومهانة، كما سيأتى فى النصوص التى توصى بالخدم.

٢ - الاستخدام:

واستخدام الإنسان لغيره عمل مشروع، استصحابًا للأصل الذى كان موجودًا قبل الإسلام، وقد جاء فى القرآن أن موسى عمل أجيرًا بعد سقى الغنم لبنتى الشيخ الكبير فى مدين، وهو شعيب، كما يقول جمهور المفسرين، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص: ٢٦-٢٨].

هذا هو مشروع الخدمة وذلك لعقد العمل، وتلك هى روح التعامل بين الطرفين، يسر وإصلاح، وقد تم الاتفاق على العوض، وأشهدا الله على ذلك.

وكذلك أقره الإسلام، لاقتضاء طبيعة الحياة له، فهى لا تقوم إلا على التعاون، وضم الجهود وتبادل المنافع، وكذلك لعدم تعارض الاستخدام مع أصل دينى أو إنسانى يقدم عليه عند الموازنة.

والنوع الذى يجيزه الإسلام هو ما كان للضرورة أو الحاجة، أما ما كان الغرض منه الترفه والمباهاة فممنوع، ضرورة نهى الإسلام عن كل مظاهر الكبر والتفاخر.

والنبى ﷺ قد اتخذ الخدم لنفسه، وكان من أخصهم وأشهرهم أنس بن

مالك بن النضر، الذى عرضته أمه أم سليم على النبى ﷺ، فقبله، واستمر عنده تسع سنين أو عشرًا، وكان من خدامه أيضًا: ربيعة بن كعب الأسلمى، الذى كان يتولى وضوءه، وأيمن ابن أم أيمن، صاحب المطهرة، وعبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى، صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور، وكان يُلْبس النبى ﷺ نعليه، فإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم، وعقبة بن عامر الْجُهنى، صاحب البغلة، كان يقوده بها فى الأسفار، وأسلع بن شريك، صاحب راحلته، وسعد مولى أبى بكر، وأبو ذر جندب بن جنادة، ومهاجر مولى أم سلمة، وكنيته أبو حذيفة، وحنين والد عبد الله مولى العباس، كان يخدمه، ثم وهبه لعمه العباس، ونعيم بن ربيعة بن كعب الأسلمى، وأبو الحمراء مولاه وخادمه، واسمه هلال بن الحرث، وأبو السمح، واسمه إياد.

كما خدم النبىَّ ﷺ جماعة من النساء، منهم بركة أم أيمن الحبشية، والدة أسامة بن زيد، وخولة جدة حفص بن سعد، وسلمى أم رافع، زوجة أبى رافع، وميمونة بنت سعد، وأم عيّاش مولاة رقية بنت النبى ﷺ.

ويضاف الموالى لـ هؤلاء، كأسامة بن زيد، وأبيه زيد بن حارثة، وثوبان بن بحدل، ورَبَاح الأسود، الذى كان يأذن عليه أحيانًا إذا انفرد، وكأبى رافع، واسمه أسلم، كان للعباس فوهبه للنبى ﷺ، وسفينة بفتح السين وكسر الفاء، اشتراه النبى ﷺ وأعتقه، ومأبور القبطى، هدية المقوقس إلى النبى ﷺ.

وكذلك منهم سلمان بن عبد الله الفارسى، وشمعون بن زيد أبو ريحانة، وأبو بكرة نُفَيْع بن الحرث بن كلدة، وأبو كبشة من مولدى مكة، وشقران صالح ابن عدى، وهو حبشى، وقيل: فارسى، ويسار النوبى الراعى.(١)

وإذا كان الاستخدام جائزًا، وكانت مهمته فى البيوت هى الغالبة، وجب التدقيق فى اختيار الخادم، والتحرى عن سلوكه، وماضيه عند غير المستخدم بالذات، كما يستحسن ألا يكون دميمًا أو مشوهًا، حتى لا يكون هناك رد فعل

---

(١) المواهب اللدنية (ج١ ص٢١٨).

مع الأطفال وأفراد الأسرة، وذلك باستقباحه أو مضايقته مثلاً، وحتى لا يكون طليعة سوء يُواجه بها الزائر عند الإذن له، كما يستحسن أن يكون اسمه غير مستقبح، للتيمن بندائه، على عادة العرب فى تسمية مواليهم وخدمهم بأسماء سعيد وسرور وأيمن ونحوها، وذلك لارتياح النفس لهذه الأسماء الحلوة، ولتأثيرها على الجو الذى تعيش فيه.

كما يستحسن اختيار الخادم الماهر لنوع الخدمة المطلوبة، كطهى الطعام[1]، أو تربية الأولاد أو تنسيق المنزل والحديقة مثلاً، وهناك بلاد لها شهرة فى أنواع معينة من فنون الخدمة، على نسق ما قال عبد الملك بن مروان: من أراد جارية للتلذذ فليتخذها بربرية، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للخدمة فرومية.[2]

كما ينبغى أن يكون الخادم مسلمًا، أو وطنيًّا غير أجنبى، على ما سنبينه فيما بعد، وعلى المخدوم أن يعامل الخادم معاملة الأجنبى من جهة الخلوة والنظر واللمس وما إلى ذلك مما سيأتى توضيحه.

* * *

(١) طَهَا الطعامَ يطهوه طَهْوًا، من باب عَدَا، ويَطْهَاه طهيًا لغة أيضًا.
(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطى ص١٤٨.

الفصل الثانى

حقوق الخدم

الخدم بشر كسائر البشر، شأنهم شأن المخدومين فى هذا المعنى، ونظراً لما توارثه عرف الناس من أن الخادم فى وضع أدنى من مخدومه، الأمر الذى قد يحمل المخدومين على إساءة معاملتهم، جاءت الأديان توصى بالرفق بهم، ولعل من أحسن ما أثر عن الأنبياء السابقين فى هذا المجال قول شعيب لموسى عند الاتفاق على العمل: ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٧]، فالمشقة تظهر فى تكليفه ما لا يطيق، أو إلزامه غير ما اتفق عليه، والصلاح معنى واسع يشمل كل خير مادى وأدبى فى علاقة من يعمل معه.

والإسلام كسائر الأديان، أوصى بالخدم خيراً، كما أوصى بكل ضعيف من النساء واليتامى والمساكين وغيرهم، وكما تقدم، كان الأرقاء هم الذين يتولون الخدمة، فكانت الوصية متجهة إليهم بحكم عملهم ووضعهم، ففى الحديث الذى قاله النبى ﷺ قبل وفاته بخمس ليال: «الله الله فيما ملكت أيمانكم» رواه الطبرانى عن كعب بن مالك، وأبو داود وابن ماجه عن على بلفظ آخر، وقال أيضاً لأبى الهيثم، عندما أعطاه عبداً: «واستوص به معروفاً» رواه البغوى فى مصابيح السنة، وروى البغوى أيضاً حديث: «لا يدخل الجنة سيىء الملكة».

وفى إطار هذا المعنى قرر الإسلام لهم حقوقاً، أهمها:

١ - مراعاة شعورهم:

ولهذه المراعاة مظاهر، منها:

(أ) عدم نداء الخادم بلفظ مستهجن، ففى الحديث: «لا يقولن أحدكم: عبدى وأمتى، فكلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامى وجاريتى، وفتاى وفتاتى» رواه مسلم.

(ب) عدم قذفه وسب عرضه، أو شتمه واحتقاره، فعن المعرور بن سويد، قال: رأيت أبا ذر وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سابَّ رجلاً على عهد النبى ﷺ، فعيَّره بأمه، فقال النبى ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فلْيُطْعمه مما يأكل، ولْيُلْبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» رواه البخارى ومسلم، وفى حديث آخر: «من قذف مملوكه بغير حق، أو هو برىء مما قال، جُلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال» رواه البغوى فى مصابيح السنة – باب النفقات.

(جـ) عدم ضربه بغير حق: ففى الحديث: «من ضرب غلاماً له حداً لم يأته، أو لطمه، فإن كفارته أن يعتقه» رواه مسلم عن ابن عمر(١)، وروى مسلم أيضاً عن أبى مسعود البدرى، قال: كنت أضرب غلاماً لى بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفى: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً، وفى رواية فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار».

وجاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: إن لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصونى وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعَصَوْك وكذبوك، وعقابك إياهم بقدر ذنوبهم، فإن كانت كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل»، فتنحى الرجل، فجعل يهتف ويبكى، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾، فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار، رواه أحمد والترمذى.(٢)

---

(١) الترغيب (٣/٨٤).

(٢) الترغيب (٣/٨٧).

وقد قرر الفقهاء جواز ضرب الخادم للتأديب، فقد ضرب أبو بكر غلامه عندما أضاع البعير فى الطريق فى حجة الوداع، وأقر الرسول ﷺ ذلك[1]، وكان هذا الإقرار ممزوجًا بشىء من العتاب، إذ تبسم النبى ﷺ، وقال: «انظروا إلى هذا الْمُحْرِم وما يصنع» وما زيد على أن يقول ذلك ويتبسم، وقد ترجم أبو داود لهذه القصة بهذا العنوان: باب: «الْمُحرم يؤدب غلامه».

وإذا جاز ضرب الغلام للتأديب فليتق الوجه، ففى الحديث: «إذا ضرب أحدكم خادمه فليتق الوجه» رواه أبو داود عن أبى هريرة بسند صحيح، وقيل: حسن، كما فى الجامع الصغير.

وذكر البخارى فى كتابه «الأدب المفرد» أن عبد الله بن عمر أرسل غلامًا له بذهب أو ورق – فضة– فصرفه، فأنظر بالصرف، أى لأجل، فرجع إليه، فجلده وجيعًا، وقال: اذهب فخذ الذى لى ولا تصرفه.

وعن هلال بن بساف، قال: كنا نبيع الْبَزَّ –القماش– فى دار سُوَيْد بن مقرن، فخرجت جارية، فقالت لرجل شيئًا، فلطمها ذلك الرجل، فقال له سويد ابن مقرن: ألطمت وجهها؟ لقد رأيتنى سابع سبعة، وما لنا إلا خادم، فلطمها بعضنا، فأمره النبى ﷺ أن يعتقها» رواه مسلم، وفى رواية لمسلم بعد أمر النبى لهم بعتقها، قيل للنبى: ليس لهم خادم غيرها، قال: «فليستخدموها، فإذا استغنوا خلوا سبيلها».

وإذا أجاز الشرع ضرب الخادم للتأديب فالأفضل العفو والصفح[2]، ذكر أنه قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: فما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس فى داره أتته خادم له بسفود عليه شواء، فسقط السفود من يدها على ابن له، فعقره، فمات، فدُهشت الجارية، وكادت تموت فرقًا وخوفًا، فقال: ليس يُسكن رَوْع هذه الجارية إلا العتق، فقال لها: أنت حرة لا بأس عليك.[3]

(١) زاد المعاد (١/١٩٧).
(٢) كشف الغمة ص٧٠.
(٣) العقد الفريد (١/١٥٤).

وقد أورد ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد السؤال الموجه إلى الأحنف عن الذى علمه الحلم، فأجاب بحادثة أخرى، وقال: من قيس بن عاصم المنقرى، رأيته قاعداً بفناء داره محتبيًا بحمائل سيفه يحدث قومه، حتى أتى برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه، وقال له: يا ابن أخى أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن آخر له: قم يا بنى فوار أخاك، وحُلَّ كتاف ابن عمك، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها، فإنها غريبة.

وورد أن معاوية بن الحكم ادعت جاريته أن الذئب أكل الشاة، فلطمها، فأعتقها النبى ﷺ بعد علمه أنها مؤمنة، بقولها: الله فى السماء وأنت رسول الله، رواه البغوى.(١)

وثبت أنه قيل للنبى ﷺ: كم تعفو عن الخادم؟ ثلاث مرات، ورد بعدها، قائلاً: «أعفو عنه سبعين مرة في اليوم» رواه أبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح عن ابن عمر.

وحدث أن جارية ميمون بن مهران سقط العشاء من يدها فكظم غيظه وعفا عنها، بل أحسن إليها بالعتق.(٢)

وكان للمأمون خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾، قال: كظمت غيظى، قال: ويقول أيضًا: ﴿ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾، قال: قد عفوت عنك، قال: ويقول أيضًا: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾، قال: اذهب فأنت حر.(٣)

ومحل العفو عن الخادم فى خطئه ما لم يكن هناك حد لله لا يسقط بالعفو، كالزنى، روى مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى عبد الرحمن السلمى، قال:

---

(١) مصابيح السنة، عقب: المطلقة ثلاثًا.
(٢) الإحياء (٢/١٩٦).
(٣) العقد الفريد (١/١٣٥).

خطب على ،فقال: يا أيها الناس، أقيموا الحدود على أرقائكم، من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة النبى ﷺ زنت، فأمرنى أن أجلدها، فأتيتها، فإذا هى حديثة العهد بالنفاس، فخشيت إن جلدتها قتلتها، فذكرت ذلك للنبى ﷺ، فقال: «أحسنت، اتركها حتى تتماثل».

وعن ابن عمر أنه أقام حدًّا على إحدى إمائه، فجعل يضرب رجليها وساقيها، فقال له سالم: أين قول الله: ﴿ **وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ** ﴾؟ فقال: أترانى أشفقت عليها، إن الله لم يأمرنى أن أقتلها، أخرجه رزين.(١)

ويتصل بهذا عدم الدعاء عليه بما يضره، وبخاصة عند خطئه، كمظهر من مظاهر عقوبته، فقد ورد فى الحديث: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم» رواه مسلم.(٢)

وهذه دعوة إلى التجاوز عن بعض هفواته، فهو يخطئ كما يخطئ كل إنسان، لكن المخدوم يريد من خادمه أن يكون معصومًا، أو على الأقل يريد أن يفرض سلطانه، ويستعمل نفوذه، عن طريق تلمس الهفوات للخادم، ومناقشته بشدة على كل صغيرة وكبيرة.

وقد ثبت أن أنسًا، قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، فما قال لى لشىء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشىء تركته: لم تركته؟ رواه البخارى ومسلم.

وإذا كان أنسٌ مثاليًّا، أو قريبًا من المثالى، فى حُسن أدائه لواجبه، وإذا كان رسول الله ﷺ مثاليًا فى حسن العشرة، فليس كل الخدم كأنس، فكثيرًا ما تكون لهم هفوات، ولا يطلب من كل مخدوم أن يكون مثل الرسول ﷺ تمامًا فى حسن عشرته، فقد يكون فى ذلك حرج، ولنكن -على الأقل- قريبين بقدر المستطاع من مثاليته.

---

(١) حسن الأسوة.

(٢) (١٨/١٣٨).

والخدم فى كثرة تعرضهم لعقوبات المخدومين، وبخاصة على ما يتلف فى أيديهم من أدوات كالأوانى، دفع بعضًا من ذوى القلوب الرحيمة أن يعوض ما تلف فى أيديهم ليرفعوا عنهم عقوبات المخدومين، وجاء فى التاريخ الإسلامى أن هناك وقفًا خاصًّا يدفع منه ثمن ما يتلفه الخدم من حاجات المخدومين.

هذه وغيرها مظاهر لإشعار الخادم بإنسانيته، وعدم استغلال حاجته الاقتصادية لمزاولة مهنة الخدمة، استغلالاً سيئًا، ويوضح ذلك أيضًا قول عقبة بن عامر الجهنى خادم رسول الله ﷺ: بينما أقود برسول الله ﷺ فى نقب من تلك النقاب إذ قال لى رسول الله ﷺ: «اركب يا عقبة»، قال: فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية، قال: فركبت هُنيهة، ثم نزلت، ثم ركب النبى ﷺ، وقُدت به، ثم أخبره عن فضل المعوذتين، أى سورتى الفلق والناس، رواه أحمد وأبو داود والنسائى، وفى رواية لأحمد: أنه أخبره عنهما وعن ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وأنها خير ثلاث سور أنزلت فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم.(١)

وكما حدث أن عمر رضى الله عنه كان يتعاقب مع غلامه البعير، وهو فى رحلته إلى الشام(٢)، والحديث يقول: «مَنْ لاءمكم من خدمكم فأطعموه مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، أو قال: تكتسون، ومن لا يلائمكم فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله» رواه أحمد وأبو داود عن أبى ذر(٣)، ورأى أبو هريرة رجلاً على دابته، وغلامه يسعى خلفه، فقال له: يا عبد الله، احمله خلفك، فإنما هو أخوك، ثم قال: لا يزال العبد يزداد من الله بُعدًا ما مشى خلفه.

٢ - الرفق بالخدم:

يكون الرفق بالخدم بعدم تكليفهم ما لا يطيقون، إلى جانب عدم مؤاخذتهم الشديدة على ما يخطئون فيه من الأمور الهينة، كما سبق ذكره، وقد مر فى حديث أبى ذر ما يدل على ذلك.

---

(١) المواهب اللدنية (١/٢١٦).
(٢) الرق فى نظر الإسلام ص٤٧.
(٣) الرق فى نظر الإسلام ص٤٦.

والخادم بشر له طاقته كسائر الناس، وليس هو من حديد أو من نوع شاذ لا يعتريه تعب، قال تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦]، والدين يسر كما هو معروف.

بعث سلمان خادمه لمصلحة، ثم دخل عليه رجل، فرآه يعجن، فقال له: لمْ؟ قال: بعثت الخادم فى عمل، فكرهت أن أجمع عليه عملين[١]، وثبت أن النبى ﷺ، على الرغم مما كان عنده من خدم، كان أحيانًا يباشر أعمال البيت بنفسه، كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها، رواه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان[٢]، فكان يكنس بيته، ويرقع دلوه، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته.

وكان عمر بن عبد العزيز لا يوقظ خادمه ليلاً ليصلح المصباح، لأن الليل حقه فى الراحة، ويروى أن عمر كان يذهب إلى العوالى كل يوم سبت، فإذا وجد عبدًا فى عمل لا يطيقه وضع منه.[٣]

ومن هنا ينبغى أن يكون للخدم راحة أسبوعية، أو كما يتفق عليها، وذلك ليستجم ويستعيد نشاطه ولا يمل، كما تنبغى معونتهم عند أداء عمل شاق، وقد أشار إليه النبى ﷺ فى الحديث، والمراد به إن كلفتموهم مالاً يدفعونه ليعتقوا من الرق فأعينوهم ولو بحط جزء منه عنهم موافقة لقول الله تعالى فى معرض الكلام على تيسير المكاتبة لعتق الرقيق: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴾ [النور:٣٣].

وفى الحديث: «ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجرًا فى موازينك» رواه ابن حبان عن عمرو بن حريث.[٤]

٣ - الإحسان إليهم:

الإحسان إلى الخدم فى الطعام والكسوة والمعاملات الأخرى مرتبة فوق

---

(١) الإحياء (٢/١٩٧).
(٢) المواهب اللدنية (١/٢٩٣).
(٣) الرق فى نظر الإسلام ص٤٦.
(٤) المرجع نفسه.

المراتب السابقة، وجاء فيه قول النبى ﷺ : « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليكسه مما يكتسى » وقد مرّ ذكره عن أبى ذر الذى كان يلبس الخادم مما يلبس، وجاء فى حديث أبى هريرة مرفوعًا : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعام، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين » رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى، وفى حديث مسلم عن أبى هريرة أيضًا : « إذا وضع لأحدكم خادمه طعامًا، وقد ولى حره ودخانه، فليقعده معه ليأكل، فإن كان مشفوهًا فليضع فى يده منه أكلة أو أكلتين » ومعنى « مشفوهًا » كثرت عليه الشفاه، أى كثر الآكلون، وعن خيثمة، قال : كنا جلوسًا مع عبد الله بن عَمْرو إذ جاءه قهرمان له، فدخل عليه، فقال : أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال : لا، قال : فانطلق فأعطهم، قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته » رواه مسلم.(١)

ومر عمر يومًا بمكة فرأى العبيد وقوفًا لا يأكلون مع سادتهم فغضب، وقال لمواليهم، أى سادتهم : ما لقوم يستأثرون على خدامهم؟ ثم دعا الخدم، فأكلوا معهم.

يقول محمد ثابت فى كتابه « نساء العالم » : إن الديمقراطية فى الدانمارك واضحة، ومن آثارها جلوس الخادم، أى الخادمة، مع السيدات على مائدة واحدة.

وعندما سافر عمر رضى الله عنه إلى بيت المقدس للتفاوض مع البطريرك فى تسليم البلد عقب حصار جيش أبى عبيدة لها، لم يكن معه هو وغلامه إلا ناقة واحدة، فكانا يتناوبان ركوبها، الواحد بعد الآخر، إلى أن اقتربا من بيت المقدس، وكان دور الركوب للغلام، فلم يجد عمر غضاضة من المشى، وغلامه راكب، حتى دخلا بيت المقدس على هذه الحال.

ورُوى أن عليًا أعطى غلامه دراهم ليشترى بها ثوبين متفاوتى القيمة، فلما أحضرهما أعطاه أرقهما نسجًا، وأغلاهما قيمة، وحفظ لنفسه الآخر، وقال له : أنت أحق منى بأجودهما، لأنك شاب تميل نفسك للتجمل، أما أنا فيكفينى هذا.

---

(١) صحيح مسلم (ج٧ ص٨٢).

وروى أن عثمان بن عفان دَعَك أذن عبد له على ذنب فعله، ثم قال له عثمان بعد ذلك: تقدم واقرص أذنى، فامتنع العبد، فألح عليه، فبدأ يقرص بخفة، فقال له: اقرص جيداً، فإنى لا أتحمل عذاب يوم القيامة، فقال العبد: وكذلك يا سيدى اليوم الذى تخشاه أنا أخشاه أيضاً.

كما تذكر الروايات أن عبداً لزين العابدين رفع شاة وكسر رجلها، فسأله سيده: لماذا فعلت هكذا؟ قال: لأثير غضبك، فرد عليه: وأنا سأغضب من علَّمك، وهو إبليس، اذهب فأنت حر لوجه الله.

وكان عبد الرحمن بن عوف إذا مشى بين عبيده لا يميزه أحد منهم، لأنه لا يتقدمهم، ولا يلبس إلا من لباسهم.(١)

٥ - إعطاؤهم أجورهم كاملة:

الأجر حق للعامل، لا يجوز الطمع فيه أو مطله، ففى الحديث: «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه» رواه ابن ماجه عن ابن عمر، والله تعالى يقول: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ [هود: ٨٥]، وفى الحديث أيضاً: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره» رواه البخارى عن أبى هريرة، ومعنى خصمته انتصرت عليه.

* * *

(١) الرق فى نظر الإسلام ص٤٥.

obeikandl.com

الفصل الثالث

واجبات الخدم

الخادم: ككل إنسان عهد إليه بعمل، مسئول عن عمله أمام الله وأمام من عهد إليه بهذا العمل، والنبى ﷺ، يقول: «كلكم راع، وكل راع مسئول عن رعيته.. والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته» رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر.

والخدم فى البيوت بالذات لهم خطورتهم من حيث إنهم مخالطون لأفراد الأسرة فى أكثر الأوقات، ومطلعون على كثير من أحوالهم، والناس فى البيوت لهم تصرفات وأحوال لا يحبون أن يطلع عليها أحد غيرهم، ولا يحبون أن يراهم الناس عليها خارج البيوت، حتى لتكاد تحكم على أحدهم حكمًا من واقع اختلاطك به فى الحياة العامة، ولو اطلعت عليه فى معاملته مع أهل بيته بعيداً عن أعين الناس لغيّرت حكمك فيه.

والخدم أعضاء مؤقتون غير دائمين فى الأسرة، لا تهمهم سمعتها، كما تهم أفرادها الأساسيين، فقد ينقلون أخبارها، ويفشون أسرارها، وقد يسيئون فهم بعض التصرفات التى تحدث من المخدومين، فيشيعون عنهم ما يكرهون، وبخاصة عندما يستغنى عن الخادم، ويحاول أن يبرر ذلك بعيوب فى المخدومين لا فيه هو.

والخادم بحكم عضويته فى الأسرة، ولو بصورة ضعيفة، قد يتهاون فى الاحتشام منه، فلا تستر عنه عورة، وقد تكون هناك خلوة أو صلة ما على نحو من الأنحاء.

والخادم بحكم وضعه الطبيعى والعرف المتوارث فى منزلة الشخص الأدنى، والمخدوم هو الشخص الأعلى، وغاية ما توصى به الأديان وتشرعه القوانين هو

تلطيف الحدة بين الشعورين، وتحسين العلاقة بين الطرفين، لتكون هناك نقطة التقاء تسير معها الأمور على ما يرام.

وعلى ضوء هذه المقدمة نشير إلى بعض الواجبات على الخدم فيما يلى:

١ - الطاعة:

أى طاعة أوامر المخدومين مادامت مشروعة، وفى حدود الطاقة، شأنه شأن المملوك فى هذه الناحية، وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران».

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن جرير: «إذا أَبَق العبد لم تقبل له صلاة» وفى رواية: «فقد كفر حتى يرجع إليهم»[١]، وروى مسلم أيضًا عن جرير: «أيما عبد أَبَق فقد برئت منه الذمة» وأَبَق بفتح الباء فى الماضى وكسرها أو ضمها فى المضارع بمعنى: هرب.

٢ - الإخلاص:

لا يكفى أن يطيع الخادم أوامر مخدومه، وينفذها فى حدها الأدنى، بل ينبغى أن يتقنها ويخلص لله فى أدائها، فإلى جانب أجره عند الله يكون اجتهاده محل تقدير وإكرام له، وسببًا من أسباب الاحتفاظ به فى الخدمة ودوام التعامل معه، ومقابلة إحسانه بإحسان، قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠]، وفى الحديث الشريف: «من غشنا فليس منا» رواه مسلم عن أبى هريرة[٢] وفى الحديث أيضًا: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رواه البيهقى عن عائشة بإسناد حسن، وفى رواية حسنة أيضًا عن كليب: «إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن».[٣]

---

(١) رياض الصالحين ص٦٣٥.
(٢) رياض الصالحين ص٥٧٨
(٣) الألبانى على الجامع الصغير.

وفى الحديث أيضًا: «إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين» رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر.

٣ - الأمانة:

الأمانة من ألزم الواجبات على الخدم والعمال بوجه عام، ومن أبرز الصفات المطلوبة فيهم، قال تعالى، حكاية عن بنت شعيب ورأيها فى موسى: ﴿**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦]، ومن مرشحات يوسف لتولى خزائن مصر أمانته إلى جانب خبرته: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥]، وكان من مميزات الذى تقدم لإحضار عرش ملكة سبأ لسليمان هاتان الصفتان القوة والأمانة: ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾ [النمل: ٣٩].

الأمانة المطلوبة من الخادم أبرزُ ميادينها ثلاثة، أمانة المال، والعرض، والسر.

(أ) فأمانة المال: عدم أخذ شىء منه بغير حق، وعدم الإهمال فى حفظه أو تثميره إن كان ذلك مهمته، والأمر بالأمانة عامة مشهور، فلا دين لمن لا أمانة له، كما فى الحديث الذى رواه أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أنس.(١)

وفى خصوص الأمانة فى العمل جاء قول النبى ﷺ: «والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حق إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة» رواه البخارى ومسلم، وروى أبو داوود عن النبى ﷺ: «ومن استعملناه على عمل، فرزقناه رزقًا فأخذ بعد ذلك فهو غُلُول» ومن هذا القبيل أمانة الراعى الذى طلب منه ابن عمر شاة فأبى، فقال له: إن سألك عنها سيدك فقل له: أكلها الذئب، فأبى الراعى، وثار قائلاً: أين الله؟ رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن نافع عن ابن عمر(٢)، فهذه الحادثة دليل على منتهى أمانة الخادم، التى مبعثها الإيمان بأن الله مطلع على كل شىء، ورقيب على أعمال العباد جميعًا.

---

(١) الترغيب (٣/ ٢٤٩).

(٢) حياة الحيوان الكبرى، للدميرى: غنم.

والسرقات التى يرتكبها الخدم بأنفسهم، أو بوساطتهم والتواطؤ مع السارقين هى نتيجة لعدم وجود الضمير الدينى، والضمير الدينى ضعيف أو معدوم فى الأوساط الفقيرة التى تلجأ إلى احتراف مهنة الخدمة، والفقر يذهب بكثير من القيم.

وقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز أخذ شيء من مال السيد بغير إذنه حتى لو كان للتصدق به، كما ذكره النووى فى شرحه لمسلم، فقد جاء فى الحديث أن عميراً مولى «آبى اللحم» قال: أمرنى مولاى أن أُقدِّد لحمًا، فجاءنى مسكين، فأطعمته منه، فعلم بذلك مولاى، فضربنى، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فدعاه، فقال: «لم ضربته»؟ فقال: يعطى طعامى بغير أن آمره، فقال: «الأجر بينكما».(١)

قال النووى(٢)، تعليقًا على تقسيم الأجر بين المالك وبين من تصدق من ماله، من زوجة وخادم وعامل: «واعلم أنه لابد للعامل، وهو الخازن، وللزوجة والمملوك، من إذن المالك فى ذلك، فإن لم يكن إذن أصلاً فلا أجر لأحد من هؤلاء الثلاثة، بل عليهم وزر بتصرفهم فى مال غيرهم بغير إذنه».

والإذن ضربان: أحدهما الإذن الصريح فى النفقة والصدقة، والثانى: الإذن المفهوم من اطِّراد العرف والعادة، كإعطاء السائل كسرة ونحوها مما جرت العادة به، واطَّرد العرف فيه؛ وعلم بالعرف رضاء الزوج والمالك به، فإذنه فى ذلك حاصل وإن لم يتكلم، وهذا إذا علم رضاه لاطراد العرف، وعلم أن نفسه كنفوس غالب الناس فى السماحة بذلك والرضا به، فإن اضطرب العرف، وشك فى رضاه، أو كان شخصًا يشح بذلك، وعلم من حاله ذلك، أو شك فيه لم يجز للمرأة وغيرها التصدق من ماله إلا بصريح إذنه.

(ب) وأمانة العرض: مطلوبة جدًّا من الخادم، لأن وجوده مدة طويلة مع الأسرة يتيح الاطلاع على أشياء كثيرة تخفى على غيره، كما أن رفع الكلفة بينه

(١) صحيح مسلم (٧/١١٤).
(٢) صحيح مسلم (٧/١١٢).

وبين مخدوميه، يجعلهم لا يتحفظون فى ستر عوراتهم عنه، وقد وضحت ذلك فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة، ونبهت على وجوب محافظة الزوجة على شرفها وعرضها، محذراً من اطلاع الخادم على عورتها، أو تمكينه مما حرم الله، مبيناً قيمة التدين الذى يعصم المرأة وغيرها من الزلل عند إتاحة الفرصة؛ ولنا فى عفة يوسف الصديق مع زليخا، وقد تهيأت كل الظروف للخيانة، عبرة وموعظة، وقد علل بعض العلماء عفة يوسف فى المقام الأول بالعرفان بجميل سيده: ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢٣]، والرب هو السيد كما فى اللغة، وقد أكرم إقامته فى قصره، والواجب هو الشكر على هذه النعمة، فمن خان فقد ظلم، والظالم لا يفلح.

وإذا كنا نأمر الخادم بالحفاظ على عرض مخدومه وشرفه، فإننا نأمر المخدومين أيضًا بالتحفظ والحذر، وعدم تهوينهم من شأن الخدم، فالخادم بشر تحكم عليه طبيعته البشرية كسائر الناس، ويرحم الله زوجة معاوية التى سترت نفسها من خَصِيّ قدم به معاوية، ولما قال لها: إنه بمنزلة المرأة، قالت: كأنك ترى أن مُثْلتك به تحلل ما حرم الله عليه منى؟[١]

كما قصت بعض السيدات من السلف الصالح شعرها، لأن خادمها اطلع عليه، صيانة لحرمة زوجها أن يطلع غيره على ما كان له خاصة، وفى الجزء الثانى من هذه الموسوعة: سئلت امرأة عن خطئها بالزنى مع الخادم، فقالت: حملنى على ذلك قُرْب الوساد، وطول السُّواد.

إن الخادم أجنبى تمامًا عن المرأة، والخادمة أيضًا أجنبية تمامًا عن الرجل، يحرم على كل منهما ما يحرم على كل أجنبيين، غير أن الله قد أحل لنوع منهم ما لم يحل لغيرهم ،هم غير أولى الإربة الطاعنون فى السن، فإن هناك بعض التسامح، أو تحديداً معيناً للعورة معهم، وذلك مفصل فى الجزء الخاص بالحجاب.

(جـ). وأمانة السر مطلوبة من الخادم أيضًا بحكم وضعه وتمكنه من الاطلاع

---

(١) المحاسن والمساوى، للبيهقى (٢ / ٢٠٩).

على الأمور الخفية، وحفظ السر مطلوب بوجه عام، وهو بين أصحاب العلاقات القوية أشد طالبًا، كالزوجين والشريكين والصديقين، والخادم والمخدوم.

وقد حفظ أنس سر النبى ﷺ، فلم يُفْشه لأمه عندما أبطأ عليها، ففى مسلم عن ثابت عن أنس، قال: أتى علىّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثنى فى حاجته، فأبطأت على أمى، فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة، قالت ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك به يا ثابت[1]، وروى البخارى بعضه.[2]

وفى إرشاد أم أنس له بألا يفشى سر رسول الله ﷺ توجيه لأولياء الخادم فى عدم الإلحاح عليه أن يخبرهم بما يحدث له، أو ينقل أخبار مخدوميه، كما أن موقف أنس فيه صلابة فى حفظ السر يجب أن تحتذى، حتى لو كان إفشاؤه لأعز الناس عنده وألصقهم به.

والسر الذى يجب حفظه هو سر الأسرة، فلا يُنقل خارجها، وسر أحد أفرادها لا ينقل إلى الآخر، خصوصًا بين الزوجين أو بين الزوجات الضرائر، وخطر الخصيان سنشير إليه فيما بعد.

ولخطورة إفشاء الخدم لأسرار البيوت آثرت البيوت المحافظة التى تعيش على شرفها وسمعتها أن تباشر خدمة نفسها بنفسها، دون التورط مع الخدم، فكثير منهم لا يحترم الآداب، لأن غالبهم من بيوت غير كريمة.

٤ - شكر المخدوم:

على الخادم أن يشكر مخدومه على حسن معاملته له، ويظهر ذلك فى الرضا والسرور بما يناله منه، كما يظهر بشكل واضح عند ترك الخدمة، فإن المشاهد أن الخادم يحدث الناس بكل معاملة سيئة وجدها من المخدوم ليبرر تركه لخدمته، سواء كان ذلك حقًّا أم باطلاً، وينكر المعاملة الحسنة التى عومل بها،

---

(١) صحيح مسلم (١٦/ ٤١).

(٢) رياض الصالحين ص٣٠٤.

وهذا شأن النساء اللاتى يغلب عليهن « كفران العشير » إذا أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم أسأت إليها، قالت : ما رأيت منك خيراً قط، وفى الحديث : « لا يشكر الله من لم يشكر الناس » رواه أحمد عن الأشعث بن قيس.[1]

٥ - الأدب فى المعاملة :

يجب على الخادم أن يحس بوضعه مع مخدومه، فيتأدب فى معاملته، شأن الصغير مع الكبير، ففى الحديث : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا » رواه أبو داود والترمذى، وقال : حديث حسن صحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفى رواية لأبى داود « حق كبيرنا ».[2]

٦ - القناعة :

يشاهد فى خدم هذا العصر عدم قناعتهم بما أعطوا، وشططهم فى مطالب يفرضونها على المخدومين، استغلالاً لفرصة حاجتهم إليهم، حتى انعكست الآية فصار الخادم كأنه هو المخدوم، والمخدوم خادماً، والخادم يجب أن يحس بوضعه الأدبى من مخدومه، فيكمل نفسه، لا بالمطالب المادية التى سيطرت على حسه وشعوره فدفعته إلى قبول الخدمة، ولكن بالقناعة والرضا فإن هذه الحلية لها أثر كبير على نفسه وكذلك على نفس المخدوم الذى يقدر هذا ويكافئ عليه قبل أن يطلبه الخادم.

* * *

(١) الترغيب (٢ / ١٠).

(٢) رياض الصالحين ص ١٧٠ .

الفصل الرابع

متفرقات

١ - استخدام الأجانب :

استخدام الأجانب غير مستحسن، وأقصد بالأجنبى الغريب عن الوطن، وبخاصة إذا كان غير مسلم، لأنه لا يخلص أبداً فى الخدمة، نظراً للفوارق الموجودة، وقد يقوم بمهمة التجسس من أجل مصلحة بلده أو مصلحة دينه، دون أن يشعر بذلك أحد .

وقد لجأ كثير من أغنياء العرب والمسلمين إلى استخدام الأجنبيات، للأعمال المنزلية، أو لتربية الأولاد، متعللين بقلة ما يجدون من خادمات، أو قلة المجيدات للتربية فى الشرقيات المسلمات، وكذلك متعللين بمظهر الترف الكامل، وملاحقة التطور السريع للمدنية، وليست خطورة استخدام الأجانب فى العمل لمصلحة بلادهم، بل إنهم سيؤثرون حتماً على جو الأسرة، وبخاصة الأطفال تأثيراً يتصل بالعقيدة أو العادة، أو الحب لبلادهم التى جاءوا منها، فيتأثر الأولاد بحضارة تلك البلاد وثقافتها وعاداتها، وقد كان أبو لؤلوة المجوسى سبباً فى قتل سيدنا عمر بن الخطاب لحساب دولته وقومه .

٢ - استخدام الأطفال :

يجوز استخدام من هم دون البلوغ فى أعمال تليق بهم وفى استطاعتهم، ولا مانع شرعاً من ذلك، مادامت هناك رعاية أوامر الدين فى معاملتهم .

وأوجه أنظار المخدومين إلى عدم حرمان الصبية من التعلم إذا رغبوا فى ذلك، بل إنهم لو علموهم لكان لهم أجر كبير عند الله، كما مر فى حديث ذوى الأجرين، وإن كان هذا الأمر لا يهتم له كثير من الناس، نظراً إلى أن الخادم لم يلجأ إلى الخدمة إلا عند إفلاسه من التعلم غالباً، أو عدم تمكنه من عمل آخر غير

الخدمة، كما أن مطالب الأولاد كثيرة لا يرى المخدوم أن يضيف إليها أعباء أخرى بتعليم الخدم، وقد كانت هناك فكرة سائدة، هى استمرار جهل العامة والطبقة الدنيا، حتى لا يعرفوا عن طريق التعليم حقوقهم، فيطالبوا بها المخدومين.

ودليل استخدام الصغار قبول النبى ﷺ لأنس خادمًا، عندما عرضته أمه عليه عند قدوم المدينة، وكان ابن عشر سنين، وخرج معه إلى بدر خادمًا، ولم يذكر فى المحاربين لصغره.(١)

٣ - استخدام الكافر:

يجوز استخدام الكافر، ولكن مع الحذر منه، على ما مر بيانه، وقد استخدم النبى ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه عبد الله بن أرَيْقط دليلاً فى هجرتهما إلى المدينة، وذلك لخبرته بالطريق، واتخذ النبى ﷺ غلامًا يهوديًّا للخدمة، ولما مرض عاده وعرض عليه الإسلام، كما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد(٢)، وأخرجه ابن حجر فى كتابه المطالب العالية(٣) كما ذكره البخارى فى «الأدب المفرد»، فعندما مرض الغلام عاده النبى ﷺ وقعد عند رأسه، وقال له: أسلم، فنظر الغلام إلى أبيه، وهو عند رأسه، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبى ﷺ، وهو يقول: «الحمد لله الذى أنقذه من النار».

٤ - خدمة المسلم للكافر:

يجوز للمسلم أن يخدم الكافر، ما لم تكن هناك فتنة فى الدين، أو معاملة تضيع بها الكرامة، وأرى أن تكون الخدمة عند الضرورة القصوى، إذا ضاقت سبل العيش، ولم يوجد بديل لهذه الخدمة، وإذا اضطر إليها مسلم فليحاول أن يوجد له مورد رزق آخر عند مسلم.

والدليل على جواز خدمة المسلم للكافر عدم ورود ما يحرمها، وهى نوع

---

(١) الزرقانى على المواهب (٣/٢٩٦).

(٢) (١/١٣٨).

(٣) (١/٢١٢).

من المعاملة الجائزة مع غير المسلمن، أما قوله: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء: ١٤١]، فلا يدل على المنع، لأن الآية واردة فى يوم القيامة عندما يحكم الله بين المؤمنين والمنافقين، كما هو واضح من صدر الآية وعجز ما قبلها: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء: ١٤٠، ١٤١]، فالمؤمنون هم الأعز، وغيرهم هم الأذل، بما لكل من منازل، وهذا التفسير مروى عن على رضى الله عنه، وقيل الممنوع هو الحجة، كما ذهب إليه ابن عباس، والحجة هى السلطان، أى لا دليل عند الكافرين ضد المؤمنين فى ادعاءاتهم، ذكره النسفى فى تفسيره، وفى تفسير الجلالين المراد بالسبيل طريق الاستئصال، وتمكن الاستزادة من معرفة الأقوال فى تفسير القرطبى.

هذا، وقد جاء فى بدائع الصنائع، للكاسانى (٤/ ١٨٩): «لو استأجر ذمى مسلمًا ليخدمه، ذكر فى الأصل أنه يجوز، وأكره للمسلم خدمة الذمى، أما الكراهية فلأن الاستخدام إذلال، فكان إجارة المسلم منه إذلالاً لنفسه، وليس لمسلم أن يذل نفسه، خصوصًا بخدمة الكافر، أما الجواز فلأنه عقد معاوضة فيجوز كالبيع» اهـ.

وفى ص١٩٠ من المرجع السابق: «ومن استأجر حَمَّالاً يحمل له الخمر فله الأجر فى قول أبى حنيفة، وعندهما -أى صاحبيه محمد وأبى يوسف- يكره، لهما -أى دليلهما- أن هذه إجارة على المعصية، لأن حمل الخمر معصية لكونه إعانة على المعصية، وقد قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾، ولهذا لعن الله عشرة، منهم حاملها والمحمولة إليه -ولأبى حنيفة- أى دليله- أن نفس الحمل ليس بمعصية، بدليل أن حملها للإراقة والتخليل مباح، وكذا ليس بسبب للمعصية وهو الشرب، لأن ذلك يحصل بفعل فاعل مختار، وليس الحمل من ضرورات الشرب، فكان سببًا محضًا، فلا حكم له كعصر العنب وقطفه،

والحديث محمول على الحمل بنية الشرب، وبه نقول: إن ذلك معصية ويكره أكل أجرته» اهـ.

ولو اشتغل مسلم فراشًا فى كنيسة مثلاً ومن ضمن عمله حمل الخمر إليها، فالإجارة صحيحة على مذهب أبى حنيفة وأكل الأجرة غير مكروه، وعلى قول الصاحبين مكروهة، وإذا كان من عمله دق الناقوس فالإجارة باطلة وأكل الأجرة مكروه، لأنه تعاقد معهم على عمل اقترن بمعصية، قال فى فتاوى «قاضيخان»: رجل آجر نفسه من النصارى لضرب الناقوس كل يوم بخمسة دراهم ويعطى فى عمل آخر كل يوم درهمًا، قال إبراهيم بن يوسف رحمه الله: لا ينبغى أن يؤاجر نفسه منهم، إنما عليه أن يطلب الرزق من موضع آخر -وجاء فى فتاوى قاضيخان أيضًا: لو بنى بالأجر بيعة أو كنيسة لليهود والنصارى طاب له الأجر.

٥ - خدمة المرأة للرجل:

تجوز خدمة المرأة للرجل إذا كانت هناك محافظة على الآداب الشرعية، المذكورة فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة، ولكن قلّ أن توجد هذه المحافظة القائمة على ستر العورة ومنع الخلوة، والأدب فى الكلام، وعلى منع أى اتصال أو منظر يثير الفتنة، وتندر السلامة إن كان المخدوم عزبًا، أو متزوجًا غابت زوجته وخلا له الجو فى البيت، فإن الفساد محقق بالخلوة وما وراءها، مع الظروف المهيئة لذلك.

ومن المؤسف أن تمتهن المرأة فتعمل عند رجل يستخدمها بعنوان مستحدث مستور «كمار يرا»، أو سكرتيرة خاصة، ومن رضيت بذلك فلا خير فيها أبدًا، ولا أدل على قبح هذا العمل من المآسى المعروفة عند الكثيرين، وقلّ أن يرضى مخدوم بزواج خادمة بعد أن نال غرضه الخبيث، فإن وضعه الاجتماعى يبرز حينئذ، ويترفع عن ستر جريمته التى نسى ساعتها ما يكون لها من عقابيل.

٦ - خدمة الرجل للمرأة:

وكذلك خدمة الرجل للمرأة جائزة عند أمن الفتنة واتباع الآداب الموضوعة

لذلك، غير أن ذلك يندر وقوعه، خصوصًا إذا كانت المخدومة غير متزوجة، أو متزوجة غاب زوجها، وقد مر توضيح ذلك فى البند السابق.

وكم رأينا من مآسى اعتداء الخادم على مخدومته طوعًا وكرهًا، أو الانتهاء إلى زواجها منه، على الرغم من الفارق الاجتماعى الكبير بينهما، إما عن حب وإما تحت ضغط الستر على الجريمة، بل وقعت فى ذلك ملكات وأميرات، وكانت الردة عن الدين فى سبيل ذلك كما هو معروف، وإذا كان فى الخادم جمال أو شباب اشتدت الرغبة إليه، وبخاصة إذا حتم العمل لقاءهما كثيرًا أو الخلوة المنفردة، كسائقى السيارات مثلاً.

ذكر البيهقى فى المحاسن والمساوى[1]، أن إسحق بن مسلم العقيلى كان جالسًا عند المنصور، فمر خادم وضىء الوجه، فقال: يا أمير المؤمنين أى ولدك هذا؟ فقال: ما هو بولد، قال: فأى إخوة أمير المؤمنين هذا؟ قال: ما هو لى بأخ، قال: فمن هو؟ قال: فلان الخادم، قال: يا أمير المؤمين، فَشَمَّة هذا وَضَمَّتهُ أحب إليها من شمتك وضمتك، قال: فداخل المنصور من ذلك أمر عظيم، حتى تغير وجهه، وأمر بمنع الخادم من دخول دار النساء.

٧ - تكليف الخادم بعمل منكر:

لو أمر المخدوم خادمه بفعل شىء فيه معصية لله، كأن يقدم له خمرًا، أو ينال منه محرمًا عند اختلاف الجنسين مثلاً، أو يرتكب أى ممنوع شرعًا، فإن القاعدة الدينية، تقول: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإذا كان الخادم يرى أن عصيانه فى فعل محرم سيئول إلى الإضرار به، فإن كان الضرر الواقع عليه من جراء ذلك محتملاً كخصم بسيط من راتبه أو أجرته وجب الصَّمْد أمامه، ولعل هذا الصمد الشريف يوحى إلى المخدوم بتغيير سلوكه المنحرف، أما إذا كان لا يحتمل الضرر كطرده من الخدمة، وهو ما يمكن أن ينتهى إليه العنف فى العقوبة غالبًا، فإن كان طرده يسد عليه كل أبواب الرزق حيث لا يوجد عمل شريف، فإن المعصية التى

(١) (٢/٢٠٩).

أمر أن يباشرها إن كانت مما يجب دفعها كالتى يشير إليها الحديث الشريف: «من قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد...» وجب عليه أن يدفع هذه المعصية ولا يستسلم إليها، أما إذا لم تكن من هذا النوع، كأن طلب منه أن يشترى له خمرًا، أو يقدمه إليه، فأرى أن الضرورة تبيح له عمل ذلك، أما إذا كان طرده لا يحرمه عملاً آخر فلا تجوز طاعته مطلقًا فى أية معصية.

٨ - التحرى عن الخادم والمخدوم:

ينبغى قبل أن يتعاقد أحد على استخدام إنسان أن يتحرى عنه ليتخذ الاحتياطات إن تم التعاقد للضرورة، وهذه الاحتياطات والمعلومات الكافية عنه تفيد عند هرب الخادم مثلاً أو ارتكابه جريمة، أو عند تنازع من نوع آخر، وقد أحسنت الحكومات إذ وضعت قانونًا للخدم يحميهم ويحمى المجتمع من مشكلاتهم.

وكذلك ينبغى للخادم أن يتحرى عن المخدوم، ليطمئن إلى الجو الذى يعمل فيه، ويعرف إن كان يناسبه أولاً، فقد يكون الخادم حسن السلوك، والمخدوم سيئه فيتأثر به، وقد يكون العكس أيضًا، ولذلك يلزم أخذ المعلومات والتحريات قبل التعاقد على العمل، حتى لا يكون الندم عند وجود المضايقات أو المخالفات.

٩ - الحيطة والحذر:

من الحكمة ألا يثق المخدوم ثقة مطلقة فى خادمه، حتى لو كان أمينًا أمانة معروفًا بها، فإن هذه الثقة الكاملة لا تحمى الإنسان من المخالفة، والنفس أمارة بالسوء، والخادم مهما كان عنده من أمانة فإن بيئته ووضعه الاجتماعى وحاجته إلى الخدمة لا تجعله يسلم من بعض العيوب، وهنا تنبغى الحيطة والاحتراس.

وفى مقابل ذلك ينبغى أيضًا عدم الإسراف فى إساءة الظن بالخادم، ومنع كل شىء عنه، حتى لا تناله يده، أو يصل إليه علمه، بل ينبغى التوسط فى معاملته، والتفرس فيه، على ضوء تجارب يمتحن بها كفاءته أو أمانته.

وكان الصحابة يحترسون فى ائتمان الخادم، فعن سلمان، قال: إنى لأعد

العراق على خادمى، مخافة الظن، والعراق بكسر العينّ جمع عُراق، وهو العظم الذى أكل لحمه.

وعن أبى العالية: كنا نؤمر أن نختم على الخادم الكيل ونعدها، كراهية أن يتعودوا خلق سوء أو يظن أحدنا ظن سوء، ذكره البخارى فى الأدب المفرد.

١٠ - الخصيان:

استدعت الغيرة على المرأة أن يتخذ الزوج خدمًا لا حاجة لهم فى النساء، ليخدموا زوجته، ويقول المؤرخون: إن أول من عرف هؤلاء الخصيان هم الآشوريون، وقلدهم الفرس، وأما الترك فأجمع المؤرخون على عدم معرفتهم بالخصيان قبل فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، حيث عرفوهم من البزنطيين، الذين جلبوهم لهم خدمًا، ولنسائهم خاصة.

وكان منهم خدم بيض وأُخر سود، والأولون كانوا شراكسة وصقالبة.

والخصى كان أغلى من غيره فى الثمن؛ وكثر البيض فى أول القرن الخامس عشر، زمن محمد الأول ومراد الثانى، ثم قلّت الرغبة فيهم، وجاء السود من الحبشة وأفريقيا الوسطى، وكانت قصور الترك لا تخلو من الخصيان لخدمة النساء، وللوساطة بينهم وبينهن، وكانت السيدة لا تخرج إلا بصحبة الخصى، ولا يستقبلها إلا هو.

والخصيان كانت لهم منزلتهم الكبيرة عند الخلفاء، فهم خدم الحريم وهم الحراس والحجاب، ولهم درجات عالية، وتدخّل كبير فى الأمور، فكان أحدهم يتلو مرتبة الصدر الأعظم «رئيس الوزراء» وكان مرتبه عظيمًا، وكانت حياتهم هادئة، فعملهم الأول هو العناية بالنساء، ولذلك كانت أسماؤهم رقيقة، مثل: ريحان، وياقوت والماس.

ومن طباعهم الميل إلى الكيد والدس بحكم مجاورتهم للنساء، أو لعل ذلك لحقدهم على المجتمع، أو للتنفيس عما حرموا منه كبشر، وكانت لهم آثارهم الخطيرة فى العزل والتولية عن طريق المؤامرات.

وبعض الخصيان يحن للمرأة فى آخر أيامه فيتزوج، وغالبًا تكون الزوجة من نساء القصر، يعيش معها بالحب القلبى فقط.(١)

ويتحدث ابن عمر التونسى «فى أوائل القرن التاسع عشر» عن سلاطين وملوك «دارفور، وداى» المسلمين، ويذكر سبب الحاجة إلى الخصيان عند ملوك دارفور، فيقول: «فتجعل الناس فى حراسة الحريم عندهم من داء الغيرة المتقد المقيم، فما رأوا أحسن من حراسة إنسان يكون مقطوع أعضاء التناسل، وهو الذى تطمئن إليه النفوس فى العاجل والآجل، وأكثر الناس احتياجًا لذلك الملوك والأمراء، لأن كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه من النساء بلا مراء، ولما كانت ملوك السودان أكثر الناس للنساء جمعًا وأبذلهم فى ذلك وسعًا، كان عند الملك من الخصيان عدد كثير وجم غفير، فيوجد عند سلطان دارفور نحو الألف أو أكثر».(٢)

* * *

(١) فارسيات وتركيات، للدكتور مجيب المصرى.

(٢) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، ص٢٢٥، تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية، للدكتور محمود سلام زناتى، ص٦٥ (اقرأ).

openkandl.com